فقيه الزمان.. العالم الرباني.. بقية السلف..

أبو عبدالله محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين (١٣٤٧هـ-١٤٢١هـ):

أيها الشـــيخ الذي ودَّعنـــا ... عالي الهمّـــة وضـــاحَ الجبـــينْ
نحن نلقـــاك وإنْ فارقتنـــا ... في علـــوم بقيتْ للراغبين
أنت كالشـــمس إذا ما غربتْ ... أهدت البـــدرَ ضـــياء المُدلجين
أنتَ مـــا ودّعـــتنـــا إلاّ إلى ... حيث تؤويك قلوب المسلمين[1]

❑ قال عنه الشيخ صالح بن عبدالله بن حميد إمام وخطيب المسجد الحرام:

«هو الإمام العالم العلاّمة حبر العلوم، وبحر المعارف، شيخ الفقه، وإمام السنة، الشيخ: محمد بن صالح العثيمين.. لقد كان - رحمه الله - لسان صدق، صادعًا بالحق ملتزمًا به، مقيمًا عليه مع رعاية الحكمة.. خلّف - رحمه الله - ثروة علمية هائلة ينتفع بها بعده - إن شاء الله - ليمتد له أجرها وثوابها»[2].

❑ وقال الشيخ عبدالرحمن السديس خطيب المسجد الحرام:

«يُعدّ الشيخ - رحمه الله - من بقية السلف الصالح، وإمامًا من أئمة أهل السنة والجماعة، نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحدًا، فهو ممّنْ قلّ نظيره، وممن جلّ أن ترى العيون مثله بلا مبالغة، لما حباه الله عز وجل، فهو موسوعة علمية أخلاقية، ودعوية، ومنهجية، يقلّ نظيرها، فهو أئمة في

---

(١) للدكتور عبدالرحمن العشماوي من قصيدته «وجهك الباكي دموع التائبين». من كتاب «الدر الثمين في ترجمة فقيه الأمة العلاّمة ابن عثيمين» لعاصم المري (ص٤٨٠) - دار البصيرة - الإسكندرية.

(٢) المصدر السابق (ص٤١٥، ٤١٦).

إمام، وأمة وحده، ونسيج بمفرده، وطراز مستقل طالما نفع اللّه به، وذاع صيته، وعلا قدره، واستفاد منه القاصي والداني.

لقد تعرضت الأمة لكثير من جوانب الخلل العقدي والفكري والمنهجي والأخلاقي، فكان الشيخ ـ رحمه اللّه ـ نعم الموجّه. . لقد كان مدرسة يصدر الدعاة وطلاب العلم عن رأيه في النوازل، وتوجيهه في المستجدات، ونصحه في المتغيّرات، تمسكًا بالتأصيل الصحيح، والمنهجية المنضبطة بالدليل والقاعدة الشرعية والمقصد الإسلامي النبيل»[1].

ولقد تم تكريم الشيخ باختياره لجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٤١٤هـ الموافق ١٩٩٤م وذلك تقديراً لسجاياه.

❑ وجهوده المتمثلة فيما يلي:

ـ تحليه بأخلاق العلماء الفاضلة التي من أبرزها الورع، والزهد، ورحابة الصدر، وقول الحق، والعمل لمصلحة المسلمين، والنصح لعامتهم.

ـ انتفع الكثير بعلمه، تدريسًا وإفتاءً، وتأليفًا، فهو يدرس العلوم الدينية عقيدة وشريعة، وعلوم اللغة العربية، وذلك في جامع عنيزة وفي المؤسسات التعليمية الحكومية، وفي طليعتها كلية الشريعة في القصيم، وهو يجمع بين غزارة العلم، وجودة أسلوب عرضه؛ مما جعل حلقات درسه تجتذب طلاب العلم من مختلف أرجاء المملكة وخارجها، ولقد بذل نفسه للإفتاء بطرق متعددة، من أبرزها: الكتابة، والهاتف، والمسجّل، ووسائل الإعلام كالصحف، والمجلات، والإذاعة عبر البرنامج المشهور (نور على الدرب) الذي يستفيد منه كثير من الناس داخل المملكة وخارجها، وإلى جانب ذلك ألّف حوالي أربعين كتابًا ورسالة، منها ما هو ذو مستوى يتلاءم مع قدرات

(١) المصدر السابق (ص٤١٦، ٤١٧).

طلاب العلم، ومنها ما هو ذو مستوى يناسب جمهور المسلمين لمعرفة ما هو ضروري من مبادئ الدين الحنيف والشريعة السَّمحة.

ـ إلقاؤه المحاضرات العامة النافعة في بلدان ومراكز مختلفة من مناطق المملكة مما كان له أثر كبير في توجيه الجمهور خاصة الشباب الوجهة الحسنة.

ـ مشاركته المفيدة في مؤتمرات إسلامية كبيرة مثل: مؤتمر رسالة المسجد، ومؤتمر الدعوة والدعاة، ومؤتمر الفقه الإسلامي، ومؤتمر مكافحة المخدرات.

ـ اتباعه أسلوبًا متميزًا في الدعوة إلى اللَّه بالحكمة والموعظة الحسنة، وتقديمه مثلاً حيًّا لمنهج السلف الصالح فكرًا وأسلوبًا، مما جعل كثيرًا من المسلمين يطمئنون إلى ما يدعو إليه، ويستفيدون منه»[١].

□ قال الشيخ محمد صفوت نور الدين ـ رحمه اللَّه ـ عن الشيخ ابن عثيمين: «صاحب الباع الوافر في الفقه وأصوله، وفي الحديث رواية ودراية، من أجل ذلك كان إمامًا في الدليل والتعليل، ففي المسألة الفقهية يدلي بالدليل الذي يستند عليه القول الذي يختاره، ويعلم السامع كيف يستنبط الحكم منه، ويشرح علّة الحُكْم، ويربط بالأشباه والنظائر، وكان في التفسير إمامًا بارعًا كيف لا؟!! وإن أحظى شيوخه العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي صاحب التفسير الجامع الممتع على اختصاره وتبسيطه.

وكانت مجالس الشيخ العلمية تجمع بين المبتدئ والمجتهد في طلب العلم، فلا يحرم المبتدئ من الفوائد المدرجة التي يرتقي بها مدارج العلم النافع، ويجد فيها المجتهد بغيته، ويحصل الباحث المدقق على ضالته المنشودة»[٢].

---

(١) جريدة الرياض العدد ١١٨٨٩.

(٢) مجلة التوحيد المصرية ـ العدد ١١ ـ للسنة ٢٩.

*** ابن عثيمين ودفاعه عن عقيدة السلف:**

ثلاثة رموز للهوية السلفية في عصرنا هذا: ابن باز، والألباني، وابن عثيمين ولقد ظل الشيخ ابن عثيمين ينافح عن هذه العقيدة ويدعو إليها بلسانه وببنانه تأصيلاً وتفصيلاً من منبره ومن درسه، ومن خلال هاتفه، وفي الشارع والجامعة والمعهد والجامع، في مجالسه الخاصة والعامة، ولا يكاد يجد فرصة سانحة إلا وينشر فيها هذه العقيدة الصافية النقية بأسلوبه السهل المتدرج الذي يجذب انتباه العامي.

وتولى ـ رحمه اللَّه ـ في كتبه شرح كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وله أشرطة مسموعة فيها شروح كتب بأكملها كالتدمرية والعقيدة الواسطية والعقيدة السفارينية والنونية لابن القيم، وكتاب التوحيد والرد على الجهمية من صحيح البخاري، بل واختصر كثيراً من كتب ابن تيمية وعلّق على كتب لابن عبدالوهاب وقرّبها الطلبة العلم والعامة.

وردّ ـ رحمه اللَّه ـ على أهل الزيغ والانحراف بمنتهى القوة، ونوّع الأدلة وفصّل في الرد وأطال النفس في ذلك جداً . . انظر إلى كتابه «تقريب التدمرية» وكيف ردّ على الأشاعرة والماتريدية والمعتزلة وغلاة الجهمية والقرامطة والباطنية.

ولم يأل الشيخ ابن عثيمين جهداً في مواجهة المخالفات العقدية المعاصرة على اختلاف أنواعها، سواءً كانت من ميراث الفرق والمذاهب السالفة، أو من نتاج الحاضر، فكان بالمرصاد لكل دعوة دخيلة على العقيدة السلفية الخالصة، رداً لها وتفنيداً لشبهاتها وشبهات أصحابها، واستدلالاً على الحق بالكتاب والسنة والإجماع.

وانظر إلى إنصافه:

❑ قال ابن عثيمين: «وأما الخطأ في العقيدة؛ فإن كان خطأ مخالفًا

لطريق السلف فهو ضلال بلا شك، ولكن لا يُحكم على صاحبه بالضلال حتى تقوم عليه الحجة، فإذا قامت عليه الحجة؛ وأصر على خطئه وضلاله كان مبتدعًا فيما خالف فيه الحق، وإن كان سلفيًّا فيما سواه، فلا يُوصف بأنه مبتدع على وجه الإطلاق، ولا بأنه سلفي على وجه الإطلاق، بل يوصف بأنه سلفي فيما وافق السلف، مبتدع فيما خالفهم، كما قال أهل السنة في الفاسق إنه مؤمن بما معه من الإيمان، فاسق بما معه من العصيان، فلا يُعطى الوصف المطلق، ولا يُنفى عنه مطلق الوصف، وهذا هو العدل الذي أمر اللَّه به، إلا أن يصل المبتدع إلى حد يخرجه من الملة فإنه لا كرامة له في هذه الحال»[١].

❑ وانظر إليه للَّه دره في تفصيله في مسألة التكفير وخاصة تكفير الحكام التي صار الناس فيها إلى غالٍ ومفرط، فبيّن الشيخ خطورة الكلام في هذه المسألة خاصة ممن لا علم عنده، أو ممن يجري وراء العواطف والحماس المتوقد، وحذّر أشد التحذير من الولوج في هذا الباب بغير علم ولا بصيرة، فقال ـ رحمه اللَّه تعالى ـ: «وهذه المسألة أعني مسألة الحكم بغير ما أنزل اللَّه من المسائل الكبرى التي ابتلى بها حكّام هذا الزمان، فعلى المرء أن لا يتسرع في الحكم عليهم بما لا يستحقونه؛ حتى يتبين له الحق؛ لأن المسألة خطيرة، نسأل اللَّه تعالى أن يُصلح للمسلمين ولاة أمورهم وبطانتهم، كما أن على المرء الذي آتاه اللَّه العلم أن يبيّنه لهؤلاء الحكام، لتقوم الحجة عليهم، وتبين المحجة، فيهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة، ولا يحقرن نفسه عن بيانه، ولا يهابن أحدًا فيه فإن العزة للَّه ولرسوله وللمؤمنين واللَّه ولي التوفيق»[٢].

(١) «كتاب العلم» (ص١٩٩ ـ ٢٠٠) ط دار الثريا.

(٢) «مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين» لفهد السليمان (٢/١٤٧).

ردّ ـ رحمه اللّه ـ على الأشاعرة، ورد على زنادقة الفلكيين[١] ، وردّ على الرافضة[٢] وبين الشيخ كثيرًا من الأخطاء التي تقع في كلام بعض الناس[٣] .

❑ وهناك مؤثرات لنبوغ الشيخ والتزامه بالمنهج السلفي منها تتلمذه على كبار علماء عصره الذين عُرِفوا بعقيدتهم السلفية، وتأثره بكتابات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية، وتأثر بمنهاج الشيخ محمد رشيد رضا فيقول: «وتأثرت بمنهاج الشيخ محمد رشيد رضا؛ لأنه جيد في عرض المسائل، وإن كان عليه بعض الأخطاء وجلّ من لا يخُطئ، فهو على كل حال له أثر في منهجي في تحقيقه المسائل وما أشبه ذلك»[٤] .

❑ أما تميزّ الشيخ ابن عثيمين في الفقه فلا يخفى على أحد من العوام أو العلماء أو طلاّب العلم من غرب المعمورة إلى شرقها من المسلمين عجمًا كانوا أم عربًا، ولقد تأثر الشيخ في منهجه الفقهي الذي بزّ فيه بشيخه السعدي، وابن سعدي ـ رحمه اللّه ـ ممن برز في الفقه في هذا العصر وأصوله وقواعده بروزًا منقطع النظير في اطلاعه وعمق فهمه وقوة استنباطه فارتوى ابن عثيمين من معين شيخه ونهل من بحره الزاخر، وتأثر بكتابات ابن تيمية وابن القيم، وابن مفلح صاحب كتاب «الفروع». وكان يوصي طلبته بحفظ المتون ويردد «من حفظ المتون حاز الفنون».

❑ والشيخ ـ رحمه اللّه ـ دعا إلى ترك التقليد الأعمى ولقد تأثر كثيراً بشيخه عبدالرحمن السعدي في ذلك.

---

(١) انظر «الضياء اللامع من الخطب الجوامع» لابن عثيمين (ص٣٢).

(٢) «شرح الواسطية» لابن عثيمين (٢/٣٣٨)، طبع دار ابن الجوزي.

(٣) انظر «مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين» الجزء الثالث.

(٤) «مجلة الدعوة» العدد ١٧٧٦.

❑ يقول ـ رحمه اللَّه ـ : «لقد تأثرت كثيراً بشيخي عبدالرحمن السعدي في طريقة التدريس، وعرض العلم، وتقريبه للطلبة بالأمثلة والمعاني»[١].

والمنهج الذي سلكه الشيخ عبدالرحمن السعدي هو منهج خرج به عن المنهج الذي سار عليه علماء نجد عامتهم أو غالبيتهم، حيث كان الشيخ السعدي لا يتقيّد بالمذهب الحنبلي في مسائل كثيرة حتى أن علماء بريدة ـ رحمهم اللَّه ـ في عهد الشيخ السعدي كان ينقمون على الشيخ السعدي بسبب خروجه عن المذهب الحنبلي، حتى رفعوا عليه دعوى إلى الملك عبدالعزيز آل سعود يشكونه إليه».

ومنهج الشيخ السعدي كثيراً ما يتبنى آراء الشيخ ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، ويرجحهما على المذهب الحنبلي، فلم يكن عنده جمود تجاه مذهب معين، بل كان متجرداً للحق، وقد انطبعت هذه الصفة وانتقلت إلى تلميذه محمد الصالح العثيمين.

❑ ولم يكن تبنّي الشيخ لآراء شيخ الإسلام نابعًا من هوى أو تقليداً أعمى، بل كان متجرداً للحق أيضًا، فحيثما وجد الحق فهو ضالته ومطلبه، بل إنه خالف شيخ الإسلام في عشرات المسائل أكثر من مخالفة شيخه السعدي»[٢].

❑ ولقد أوتي الشيخ ابن عثيمين فهمًا ثاقبًا في إظهار مقاصد الشريعة وأسرارها وحكمها، وكانت له عناية فائقة بالفروق، والقواعد الفقهية.

❑ ويمتاز البحث الفقهي عند الشيخ برسوخ وسائل البحث عنده،

---

(١) «صفحات مضيئة من حياة الشيخ محمد بن صالح العثيمين» لتلميذه وليد بن أحمد الزبيري (ص٣٠).

(٢) المصدر السابق (ص٣٢).

وتحريره الدقيق للمسائل، وتحديده للمصطلحات، واستحضاره البارع للقواعد الأصولية، والقواعد الفقهية، وتفريعه العظيم للمسائل، ورجوعه عن قوله إذا تبيّن له الصواب، وتوقفه عن الترجيح إذا تساوت عنده الأدلة أو تكافأت.

❑ والشيخ ابن عثيمين جمع بين أصالة السلف من جهة وإلمامه بواقع الناس وقضاياهم من جهة أخرى، ولقد قرّب الشيخ فقه السلف، وخاصة المسائل الكبار الموجودة في المغني والمبسوط والمجموع والتمهيد، وتظهر مكانة الشيخ في فتاويه في القضايا المعاصرة.

❑ وبلغت تسجيلات الشيخ في أشرطته المسجلة ٣١٨٣ شريطًا[1] .

❑ ولا يشك الناظر في حياة الشيخ العلمية العامرة بالفقه تأصيلاً، وتقعيدًا، وبذلاً، وعطاء أن الشيخ كان لا يُجارى ولا يُبارى في مكانته الفقهية، ولله دره في حصيلته المباركة في الفقه وكتبه، ولو لم يكن للشيخ إلا «الشرح الممتع على زاد المستقنع لكفاه» وانظر إلى شرحه للكافي في الفقه الحنبلي، وشرحه لبلوغ المرام، ومؤلفاته الفقهية تعلم أي شيخ مجتهد رباني كان الشيخ ابن عثيمين.

❑ وبإخلاص الشيخ ابن عثيمين وتجرده وصل صوته إلى كل مكان في أرجاء البسيطة وفي روسيا الشيوعية هناك تحت سياط العقاب والإرهاب نجد دعوة الشيخ قد وصلت تحت الأقبية من ذلك: ما رواه الشيخ أحمد بن عبدالعزيز الحمدان: «في حج عام ١٤١٦هـ كنت مرافقًا لسماحته وهو يزور الحجّاج ـ كعادته كل سنة ـ يسلّم عليهم ويحدثهم، ويجيب على أسئلتهم في مطار الملك عبدالعزيز بجدة، ودخلنا صالة استقبال كان فيها حجاج من جمهورية من الجمهوريات الإسلامية التي كانت تحت الحكم الرّوسي، وكان

(١) انظر شريط ١٠٠ فائدة من الإمام ابن عثيمين للشيخ محمد صالح المنجد.

أصغرهم سنًّا قد بلغ الستّين، وليس فيهم من يتكلم العربية، فسأل الشّيخ إن كان معهم مترجم يترجم كلامه إليهم، فلم نجد إلاّ شابًّا سعوديًّا كان في استقبالهم يتحدّث بلسانهم. فطلبنا منه أن يترجم كلام الشيخ، فوافق، وأخذ الشيخ يتحدّث والشاب يترجم. وفي أثناء حديثه دخلَ شابٌّ يركض ـ علمنا فيما بعد أنه مرشد الحملة ـ وإذا به يتحدّث العربية بطلاقة، وطلب أن يقوم بالترجمة، وأخذ مكبّر الصوت، وهو لا يعلم من هو الشيخ حتى فرغ الشيخ من حديثه ثم جاء يسلّم. فقلنا له: هذا الشيخ محمد بن عثيمين، وإذا بالشاب ينظر إلى الشّيخ باستغراب وقد اتسعت حدقتا عينيه، وقال: الشيخ محمد بن صالح العثيمين، فاستغربنا من معرفته لاسم الشيخ، وقلنا: نعم، وإذا به يضمّ الشيخ بذراعيه وأخذت الدّموع تنهال من عينيه وهو يقول: الشيخ محمد العثيمين ويكرّر اسمه فرحًا، ثم ما لبث أن أخذ مكبّر الصوت، ونادى في أفراد الحملة بكلام لم نفهم منه سوى ترديده لاسم الشيخ، وكانت المفاجاة أكبر عندما أخذ أفراد الحملة يبكون، وارتفعت أصواتهم وهم يردّدون اسم الشيخ: الشيخ العثيمين، وقال الشاب: يا شيخ هؤلاء كلّهم طلاّبك، هؤلاء كانوا يدرسون كتبك في الأقبية تحت الأرض لمّا كان تعليم الإسلام عندنا ممنوعًا، وهم في شوقٍ للسلام عليك فهل تأذن لهم؟ وأذن لهم الشيخ، فأقبلوا يقبّلونه ويقبّلون رأسه ويديه وهم يبكون ويردّدون اسمه، فكان من أشدّ المواقف تأثيرًا، وما أعلم من بقي في ذلك المكان إلا وبكى تأثّرًا بما رأى وسمع»[1].

* رؤية الشيخ لضوابط إنجاح الصحوة الإسلامية:

يرى الشيخ ابن عثيمين أن هناك ضوابطَ لإنجاح الصحوة الإسلامية منها:

(١) جريدة «البلاد» عدد (١٦٢٢٣)، و«الدر الثمين» (ص٢٠٠ ـ ٢٠١).

ـ التمسك بالكتاب والسنة.

ـ والعلم البصيرة: أن يكون على بصيرة فيما يدعو إليه، وعلى بصيرة في مجال الدعوة، وبصيرة في كيفية الدعوة، وثالث الضوابط هو الفهم. والرابع: الحكمة، والخامس: التآلف والتواد، وسادسها: الصبر والاحتساب، والسابع: التخلق بالأخلاق الفاضلة، والسابع: كسر الحواجز بين الداعية وبين الناس، والتاسع: الرفق واللين، والضابط العاشر: اتساع صدور الشباب للخلاف بين العلماء. والحادي عشر: تقييد العاطفة بما يقتضية الشرع والعقل، وبعد ذلك عدم اليأس.

*** مكانة الشيخ في التفسير:**

لقد أوتي الشيخ ابن عثيمين فقهًا في التفسير وبصرًا عظيمًا، يكثر التأمل، ويتعمق في الاستنباط، ويحث على الفكرة والتدبر، ويغوص وراء المعاني كأنه عالم من علماء القرون الأولى ممن رسخوا في العلم والفهم.

كان ـ رحمه اللَّه ـ يستخرج عشرات الفوائد من الآية الواحدة.

وللشيخ القدح المعلى في التفسير بعد الشيخ الشنقيطي في علماء عصرنا وقرننا.

*** زهده ـ رحمه اللَّه ـ:**

كان بيته القديم بعنيزة من الطين، «وكان ـ رحمه اللَّه ـ يلبس نعلاً معروفًا لها أصبع، لا تتجاوز قيمتها خمسة عشر ريالاً، ويلبسها دومًا»[1].

*** وقال الشيخ محمد صالح المنجّد:**

«كان ـ رحمه اللَّه تعالى ـ زاهدًا في الدنيا، ليس من أهل العقارات،

(١) «الدر الثمين» (ص٢١٧).

والأموال، وما يأتيه من الرواتب ينفقه على أهله، وقد أُعطي سيارة جديدة فلم يستعملها، فلمّا علاها الغبار سحبت من أمام البيت.

وأُعطي بيتًا كبيرًا فوهبه لطلبة العلم.

وسيارته قديمة «مازدا» في الثمانينات «يعني الموديل»، ومن تأمّل غترته وبشته، ونعاله عرف أنه رجلٌ زاهد غير متعلّقٍ بالدنيا»[١].

❑ قال الشيخ فهد بن عبدالله السنيد: «وأما زهده فيكفي أن تعلم أن ريع كتبه التي تطبع بإذنه لصالح الأعمال الخيرية، ويشترط على من يقوم بطباعة كتبه ألا يحتفظ بحقوق لمن أراد طبعه، وتوزيعه مجانًا»[٢].

❑ وقال سليمان السالم الحناكي: «وقد ذكر لي من أثق به موقفين للشيخ يعبّران عن صفة الزّهد لديه:

ففي أحد الأيام كان الشيخ يقف بجوار مسجده مع بعض طلبته يسألونه ويناقشونه في بعض المسائل الشّرعية، فأتت سيارة فارهة ونزل منها السائق، وأعطاه مفاتيح السيارة قائلاً: إن هذه السيارة هدية من فلان الفلاني «أحد أعيان البلد» وأبى الشيخ، إلا أن الشخص ألّح عليه، فأخذ الشيخ المفاتيح، وركب ذلك الشخص السيارة الأخرى وذهب.

❑ فيقول محدّثي:

أن الشيخ تابع حديثه مع طلبته وهو يقلّب المفاتيح بيده، ولم يلتفت مطلقًا، وفجأة أتى شاب وسلّم على الشيخ، وقال: يا شيخ الليلة زواجي، وإني أرجو أن تحضره، ولكنّ الشيخ تعذّر لبعض الارتباطات، ولكنّ الشّاب

---

(١) محاضرة للمنجد بعنوان (١٠٠ فائدة من العلامة ابن عثيمين)، وجاء في الاقتصادية بعدد: ٢٦٥٢ أن السيارة من نوع (كريسيدا).

(٢) «مجلة الدعوة» العدد ١٧٨١.

ألح عليه بالحضور، فلاطفه الشّيخ وقال: إن ظروفه لا تساعده، ولكن خذ مفاتيح هذه السيارة فهي هديّة مني لك، وأخذ الشّاب السيارة وذهب، وعاد الشيخ لحديثه وكأن شيئًا لم يكن.

❑ وموقف آخر: وهو أن الملك خالد ـ رحمه اللّه تعالى ـ زار الشيخ في بيته كعادة ولاة الأمر في تقدير العلماء وإجلالهم، ولمّا رأى الملك منزل الشيخ المتواضع عرض عليه أن يبني له دارًا جديدة، فشكره الشيخ وقال: إنني أبني لي دارًا في الصالحية «حيّ في عنيزة» ولكن المسجد والوقف التابع له تنقصهما بعض الحاجيات والمستلزمات، وبعد أن ذهب الملك قال له بعض جلسائه: يا شيخ ما علمنا أنك تبني دارًا في الصالحية، فقال الشيخ: أليست المقبرة في الصالحية!!![1].

❑ وقال محمد إبراهيم السبيعي:

«أما عن زهدة فحدّث ولا حرج، وأذكر أنه حينما زاره الملك خالد بن عبدالعزيز يرحمه اللّه في منزله الطّيني البسيط في عنيزة، عرض عليه أن ينتقل إلى سكنٍ آخر، أو قبول أي مبلغ لبناء سكن مناسب.

لكن الشيخ دعا للملك خالد الذي ألح على الشيخ لقبول هذا الأمر، فآثر أن يوجه هذا التّبرع لشراء العمارة القريبة من الجامع، لتكون مكتبة لطلبة العلم، فاشتراها الملك بسبعة ملايين مع مبالغ نقدية للطلبة»[2].

❑ وقال أيمن بن عبدالعزيز أبانمي:

«مرة ذهب ليلقي محاضرة في الحرس الوطني، وقد استعد كبار الضباط لاستقباله عند المسجد، فلمّا أتى لينزل من السيارة جعل حذاءه داخل

(١) «جريدة الجزيرة» العدد ١٠٣٣٦.

(٢) الاقتصادية، العدد ٢٦٥٠.

السيارة ونزل، فأشار إليه مرافقه أن يلبس للوجاهة، فقال الشيخ: لا، دعها، ونزل حافيًا فما زاده ذلك إلا مهابة وتعظيمًا»[١].

* **تواضعه واحترامه لأهل العلم:**

❑ قال صاحب «الدر الثمين»:

«ومما أذكره من تواضعه ـ رحمه اللَّه تعالى ـ واحترامه لأهل العلم: أن الشيخ ألقى محاضرة في جامع الرّاجحي بالرياض بالربوة في «أحداث الشيشان» في يوم الأربعاء ١٦/٨/١٤٢٠هـ وبعد أن انتهى كان من ضمن الأسئلة التي وجّهت إليه؟ ماذا تقولون في الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، وكان قد توفّي منذ فترة، فأجاب الشيخ قائلاً: «مثلي لا يتكلّم عنه؛ لأنه أعلم منّي وأنفع مني للأمة، ونشهد اللَّه على حبِّه، وهو أول من فتح الباب للبحث في علم الحديث، ونفع اللَّه به الأمة؟!!» رحمه اللَّه وغفر له»[٢].

* **عبادته:**

صلاته وتهجده:

❑ قالت سعاد بنت محمد بن حمد العثيمين:

«أمّا حبه للصلاة وطولها والخشوع فيها فحدّث ولا حرج، إذ قد أثارني منظر رأيته وأنا صغيرة، رأيت عجبًا في سجادته التي يصلّي فيها النوافل في منزله، كانت السجادة مبطنة من الأسفل بالبلاستيك، رأيتها معلّقة على الجدار، وقد تشقق موضع الجبهة، واليدين، والرّكبتين من البطانة

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٤.

(٢) «الدر الثمين» (ص ٢٤٠).

البلاستيكية، فهذا إن دلّ على شيءٍ، فإنما يدلّ على كثرة صلاته وقيامه، وبالفعل هذا ما لوحظ عليه في صلاة التراويح والقيام رحمه اللَّه رحمة واسعة»[١].

❑ قال الشيخ توفيق الصائغ:

«كان شيخنا ـ رحمه اللَّه تعالى ـ لا يدع أن يصل صلاة الفجر بقيام الليل، يصلي من آخر الليل ـ رحمه اللَّه تعالى، ولا يأتي إلى صلاة الفجر إلا ووجهه يستهل ويبرق.

وصلّى بنا صلاة الاستسقاء ذات مرّة، فلم نمطر، ثم نودي بالصلاة مرّة أخرى، فصلّى فلم نمطر، ثم نودي بالصلاة مرّة ثالثة، فخرج الشيخ من بيته ـ واللَّه الذي لا إله إلا هو كأن وجهه فلقة قمر، لا أظن ذلك إلاّ من قيام الليل ـ فلمّا صعد على درجات المنبر ما أن خطَب بالناس حتّى انهالت الدموع منه رحمه اللَّه رحمة واسعة، ثم أخذ يدعو ويدعو ويدعو، فلم ننزل من ذلك المصلّى إلا وقد مطرنا»[٢].

❑ وقال الشيخ سعد بن عبداللَّه البريك:

«إن هذا العالم الجليل حتى آخر لحظة من لحظات عمره كما يخبرني الطبيب الذي كان معه آخر أيام حياته، وقابلته بعد موته بساعة أو ساعتين في المستشفى التخصصي في جدّة، قال: إني كنت آخر الأيام مع الشيخ، فسألته ما كان دأبه في الأيام الأخيرة، قال: ما رأيت عليه سوى الصلاة، وقراءة القرآن ما اشتغل بغير ذلك بشيء أبدًا»[٣].

---

(١) الدعوة ـ العدد ١٧٧٦.

(٢) شريط «وداعًا العثيمين» بواسطة «صفحات مشرقة» (ص٣٣).

(٣) المصدر السابق (ص٨١)، وعزاه لشريط ربانيون على فراش الموت.

* قيامه الليل:

❑ قال الشيخ محمد صالح المنجد:

«والشيخ ـ رحمه اللَّه تعالى ـ كان يغتنم أوقاته جيدًا، وينام مبكرًا بعد العشاء فإذا جاءت الساعة الثانية ليلاً استيقظ تلقائيًا من غير منبه»[١].

❑ ويقول مؤذن جامعه الشيخ عبدالرحمن الرّيس:

«وقد كان يحرص حرصًا شديدًا على النوم مبكرًا ليقوم للتهجد في آخر الليل»[٢].

❑ قال إحسان بن محمد العتيبي عن الشيخ:

«إنه كان يقيم الليل حتي مع شدّة تعبه، وقد حدّث عن ذلك بعض تلامذته وهو ـ حمد العثمان ـ ومما قال بالمعنى:

أنه سافر مع الشيخ إلى الرّياض، فمكثوا فيه وقتًا ثم غادروا إلى جدّة فأدوا العمرة في مكة، فلمّا انتهوا من عمرتهم وإذا بالتعب قد سرى لجسدهم، فاستسلموا للنوم، قال الشيخ حمد: فقمت في الليل إلى الحمام لقضاء الحاجة، وإذا بي أرى الشيخ ـ رحمه اللَّه ـ قائمًا يصلّي!! فقلت: سبحان اللَّه، أنا شاب واستسلمت للنوم، وهذا شيخٌ كبير تعب معي مثلي، ثم يقوم في الليل ليصلي، فتشجّع أخونا (حمد) ليصلّي، فقام وتوضأ، ولما أراد أن يصلّي وإذا بالنعاس يغالبه..»[٣].

❑ وقال الشيخ محمد صالح المنجّد:

«قال أحد من رافقه مرة في سفرٍ، فذهب مع الشيخ في دعوة، فرجعا

---

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٣) «جريدة المدينة» الرسالة العدد ١٣٧٨٨.

متأخرين كالّين متعبين إلى مسكنهما، فوضع كلٌّ منهما رأسه الساعة الواحدة ليلاً، واضطجع الشيخ.

قال المرافق: أثناء الليل، وأثناء النوم انتبهت قرابة الساعة الثالثة أو الثالثة والنصف، وكنّا قد نمنا قرابة الواحدة فحينما انتبهت على صوت الشيخ وهو قائمٌ يصلّي في هذا الوقت الذي كان هو في أمسّ الحاجة إلى النّوم والرّاحة»[1].

*** بكاؤه:**

❑ قال خالد بن عبدالله الحمودي:

«قبلَ وفاته يرحمه اللَّه حضرنا مجلسًا، وكنت معه، فتليت قصيدة في هذا المجلس عن الموت، فبكى الشيخ بكاءً شديدًا وهو يسأل اللَّه قائلاً: اللَّهم أعني على الموت، اللَّهم أعنا على الموت، وكان ذلك قبل وفاته بأشهر قليلة»[2].

*** أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وغيرته على حرمات اللَّه:**

من المعلوم أن خيرية هذه الأمة المباركة منوطة بالإيمان باللَّه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعظيم حرمات اللَّه تعالى، ويحمل لواء هذه الشريعة العظيمة ـ بعد الأنبياء ـ العلماء الربانيون في كلّ أمة، فيكون أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر غير منكر بل بالحكمة والموعظة الحسنة، فينظرون إلى العصاة بنظرين: بعين القدر فيرحمونهم، وبعين الشرع فَيُقِيمُون عليهم ما أوجبه اللَّه تعالى، وقد عُرف شيخنا بغيرته على دين اللَّه تعالى،

(١) شريط «١٠٠ فائدة من الإمام ابن عثيمين» للمنجد.

(٢) المدينة ـ العدد ١٣٧٨٩.

وحرصه على الأمر والنهي على ما تُوجبه الشريعة.

* فقه إنكار المنكر عند الشيخ:

❑ يقول الشيخ ـ رحمه اللَّه تعالى ـ:

«ليس من الحكمة أن تتعجل وتريد من الناس أن ينقلبوا عن حالهم التي هم عليها إلى الحال التي كان عليها الصحابة بين عشية وضحاها، ومن أراد ذلك فهو سفيه في عقله بعيد عن الحكمة، فلا بد من طول النفس، واقبل من أخيك الذي تدعوه ما عنده اليوم من الحقّ، وتدرّج معه شيئًا فشيئًا حتى تنتشله من الباطل»[١].

❑ ويقول أيضًا: «لا شكّ أن الدعوة الإسلامية منذ بعث الرسول ﷺ وإلى أن تقوم الساعة، أولياتها وأصولها واحدة لا تتغير بتغّير الزمان، لكن قد تكون بعد الأصول محققة عند قوم، وليس فيها ما يَنقُضَها أو يُنْقِصُها فيعمل الداعية إلى النظر في أمور أخرى يكون فيها من يدعوهم مقصّرين»[٢].

❑ ويقول أيضًا: « والدعوة إلى اللَّه لا بد أن تكون بالحكمة والموعظة الحسنة، ولين الجانب وعدم التعنيف، واللوم والتوبيخ..»[٣].

❑ وقال ـ رحمه اللَّه ـ: «إننا لو علمنا أن في بيت من بيوت هذا البلد مرضًا فتاكًا لأخذنا القلق والفزع، ولاستنفدنا الأدوية، وأجهدنا الأطباء للقضاء عليه، هذا وهو مرضٌ جسمي، فكيف بأمراض القلوب التي تفتك بديننا وأخلاقنا.

---

(١) «صفحات من حياة الفقيد العالم الزاهد» (ص٢٦)، للدكتور عبداللَّه بن محمد الطيار.
(٢) المصدر السابق، وعزاه لـ «فتاوي الدعوة» (٥/ ١٥٤).
(٣) المصدر السابق.

إنّ الواجب علينا إذا أحسسنا بمرض ديني أو خلقيّ يفتك بالمجتمع، ويحرف اتجاهه الصحيح أن نبحث بصدقٍ عن سبب هذا الداء، وأن نقضي عليه وعلى أسبابه قضاءً مبرمًا من أيّ جهة كانت؛ لا تأخذنا في ذلك لومة لائم؛ قبل أن ينتشر الداء ويستفحل خطره..»[1].

* نماذج من دعوة الشيخ للكفّار، أو العصاة، وأمره ونهيه:

❑ قال د. سعود بن عبدالرحمن العجاجي:

«بينما نحن مغادرين الفندق الذي سكنه توقّف أمامه طفلٌ أمريكي ومعه والدته، فطبطب على رأسه وبدأ يداعب هذا الطفل الذي أثارته هيئة الشيخ، وهيبته بلبسه الثوب السعودي والمشلح، فطلبت الأم من ابنها أن يحيي الشيخ، فردّ الشيخ بأحسن منها.

وقال الشيخ الراحل موجهًا كلامه للأم: اللَّه يهديك بالإسلام، وكان الشيخ خلالها غاضّ النظر، وعاف الخاطر، ثم طلبت الأم من ابنها أن يودّع الشيخ بعبارة Have nice day.

وسألني الشيخ: ماذا يقول الطفل؟ فأبلغته أنه يتمنّى لك يومًا سعيدًا لكن بعض المرافقين امتعضوا من ملبس المرأة، فقال أحدهم: قبّح اللَّه وجهك، لكن الشيخ لم يعجبه هذا الكلام، فقال: يا إخوان ليس هذا من سمات الإسلام، الطفل وأمه قابلانا بوجه حسنٍ وكلام طيّب، فأحرى أن نعاملهم بالمثل؛ فبدلاً من أن ندعو عليهم جدير أن ندعو لها بالهداية الذي هو منهج الدين الرّفيع»[2].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الاقتصادية، العدد ٢٦٥٠.

ويقول الشيخ خالد المصلح ـ صهر الشيخ ـ:

«شيخنا آمرٌ بالمعروف، وناهٍ عن المنكر في دقيق الأمور وجليلها، ويلاحظ ذلك كل من عرف الشيخ فعلى المجال الفردي يأمر بالمعروف ويحثّ على الصلاة في طريقه إلى المسجد، وإذا لاحظ على شخصٍ تقصيراً أنكر عليه، أما المنكرات العامة فالشيخ صاحب بيان، لكنه دائمًا يقول: إنه لا يتكلّم إلا بما يكون فيه فائدة وبأسلوبٍ مفيد يكون فيه اندفاع الشر وحصول الخير دون أن يترتب عليه مفسدة أعظم من المصلحة المرجوّة منه»[1].

وقال الدكتور إبراهيم بن عبدالله المطلق:

«صحبته ـ رحمه الله ـ يومًا من الجامع إلي منزله، وقرب إحدى إشارات المرور التفت ـ رحمه الله، فرأى سيارة واقفة، وفيها رجلٌ عربي من إحدى الدول العربية، ومعه زوجته قد كشفت عن وجهها.

فانطلق ـ رحمه الله ـ كالسهم تجاه السيارة فغطت المرأة وجهها، ونزل زوجها وقبّل رأس الشيخ واعتذر»[2].

وقال العقيد الرّكن علي بن محمد الخشّان:

«كان يحرص على ألا يدنس العلم الذي معه بما يشينه، فحينما همّ أن يدخل أحد المكاتب رأي فيه صورًا معلقة، فعدل إلى مكتب آخر ليس فيه صور، وكذلك لا يرضى بحضور مناسبات فيها منكرات، ويحرص الشيخ كثيرًا على تصحيح الأخطاء عمليًا، فكان الناس في السابق إذا أرادوا أن يصلوا على جنازة قاموا من حين يسلّم الإمام وقد تعلمت من الشيخ التريث؛ لا سيما إذا كان من المصلين من يقضي ما فاته.

---

(١) الأسرة، العدد ٩٢.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

كذلك صلّى الشيخ مرّة على جنازة، ولا حظ أن بعض المأمومين يرفع صوته بالتكبير إذا كبّر الإمام؛ فلمّا فرغ الشيخ من الصلاة على الجنازة نبّه الناس إلى عدم الجهر بالتكبير».

❑ في بداية أحد دروسه ـ رحمه اللّه ـ في المسجد الحرام قال:

«إني ألاحظ أنّ أيدي بعض الناس قد قُطعت؛ فشدّ الانتباه بذلك، ووضّحَ: أن البعض من احترامهم وتبجيلهم ربّما سارع بتقبيل الرأس قبل المصافحة، وبيّن أن هذا خلاف الهدي النبوي، فلا بدّ من البدءِ بالمصافحة»[1].

❑ وقال عبدالعزيز بن دغيثر الدغيثر:

«مرةٍ وهو راجع من المسجد إلى بيته كان يمشي على الرصيف، فوجد سيارة قد أوقفها صاحبها فوق الرصيف تعترض الطريق، فوقف الشيخ وسأل عن صاحب السيارة، ثم طرق عليه الباب، فخرج صاحب السيارة، ووجد من؟ وجد الناصح المتواضع، والموجه المشفق، نصحه الشيخ أولاً، ثم طلب منه أن يغيّر مكان السيارة فالطريق له حقّ»[2].

❑ وقال الشيخ محمد بن عبداللّه المشوّح:

«كان ـ رحمه اللّه ـ شفيقًا عطوفًا حدبًا على الشباب، يستمع إليهم ويناقشهم، فيرشد ويعظ بكلّ لينٍ وأدب.

لقد استعمتُ إلى بعضهم ينهر ويعلي صوته عليهم حين يتحدثون عن بعض المنكرات، ولكن الشيخ ـ رحمه اللّه ـ يعاملهم بكلّ هدوء، ويبيّن لهم أصول الإنكار، وضوابطه بعيدًا عن الحماس المرتجل، والعاطفة الثائرة، المجردة من العلم والعقل»[3].

(١) مجلة الجندي المسلم، العدد ١٠٢.

(٢) جريدة الرياض، العدد ١١٨٩٦.

(٣) الرياض، العدد ١١٨٩٣.

وكان ـ رحمه اللَّه ـ يتحدث عن فرقة التيجانية وأنها فرقة ضالةٌ، فقال أحد الإخوة: يا شيخ لو سمحت لي أن أترجم كلامك إلى لغة (الهوسا)، لوجود أناس كثير يتحدّثون بهذه اللغة، يقول الشيخ: وبدأت بالحديث وهو يترجم، وفي أثناء الكلام قال شخصٌ: يا شيخنا أنت تذم الطائفة وهو يثني عليها، فأجلسه الشيخ، ولم يعد يثق في كل مترجم، وكان يقول: تمنيت أنني تعلّمت اللغة الإنجليزية»[١].

❑ وقال د. أحمد بن سليمان العريني:

«كان ـ رحمه اللَّه ـ يعمل بالعلم ويطبّقه بحذافيره، ففي يومٍ من أيام شوال كنا في درسه في قاعة كلّية الشريعة بالقصيم، فسأل أحد الطلاب الشيخ عن أناسٍ اعتمروا في رمضان الماضي، فلمّا دخلوا الحرم ورأوا الزحام الشديد رجعوا إلى بلدهم ولم يتموا عمرتهم، فقال الشيخ: أتعرفهم؟ قال: إن زميلاً لي يعرفهم قد أوصاني بالسؤال، فقال الشيخ: اخرج الآن وبلغه ليأمرهم الآن بالتوجه إلى مكة، وإتمام نسك العمرة، فقال الطالب: حسنًا، سوف أخبره بعد المحاضرة، فقال الشيخ: لا تنتظر، اخرج الآن وأخبره، فخرج الطالب من فوره»[٢].

❑ وقال الشيخ عبداللَّه الجلالي:

«أذكر أنا كنا في حفل في عنيزة قبل أكثر من عشرين سنة، فقام أحد الشعراء هداه اللَّه وبحسن نيّة فأثنى على رجلٍ من المسئولين، فقال: لك النهي والأمر.

فغضب فضيلته ـ رحمه اللَّه ـ عليه وقال: هذا لا يكون إلا للَّه هو

---

(١) شريط معالم في حياة فقيد المسلمين ابن عثيمين، نقلاً عن «صفحات مشرقة» (ص٩٧).
(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

الذي له النهي والأمر، وكان ذلك المسئول أيضًا رجلاً فاضلاً فشكر فضيلة الشيخ وقال: جزاك اللَّه خيرًا. أنا لا أستحقّ هذا لأن هذا من اختصاص اللَّه عز وجل، هو الذي له النهي والأمر، خصوصًا وأن تقديم ما حقّه التأخير في الكلام يدلّ على الحصر، والأمران محصوران للَّه عز وجل»[١].

❑ وقال عبداللَّه بن عبدالعزيز الغفيص:

«مرّة بعد أن انتهينا من السعي للعمرة خرج الشيخ ليحلق رأسه، وإذا برجلٍ خارج المسعى يمسك بسيجارة، فوعظه الشيخ بكلمة طيبة، فكأن الرجل لم يعر الشيخ اهتمامًا، ومضى، فلحقت به وقلت له: أتدري من هذا الذي يعظك؟ إنه الشيخ ابن عثيمين، فقال: صحيح! ابن عثيمين؟ فانطلق فاعتذر من الشيخ، ويقبله في رأسه، فقال له الشيخ: إذا كنت تريدني أن أقبل اعتذارك فاترك هذا الخبيث، فوعد خيرًا»[٢].

❑ قلت: ومما أذكره من المواقف في هذا الأمر العظيم ما يأتي:

في مكة المكرمة جاء الشيخ لأداء العمرة في حدود سنة ١٤١٣هـ وطلبت منه أن ألازمه أثناء النسك للسؤال والاستفادة من عمله وعلمه، وكنت أسأله بين الحين والآخر عن مسائل.

وقد سألته عندما كان يشرب ماء زمزم بعد صلاة الركعتين خلف المقام، هل صح في استقبال القبلة شيء في هذا الموطن؟ فقال: لا.

وبعدما انتهى الشيخ من السعي ذهبت معه إلى الحلاق بجوار المروة فطلب منه الشيخ أن يحلق شعره ويأخذ من شعر الأذنين وأنا واقف خلفه أثناء الحلاقة قد عرضت عليه أن أدفع ثمن الحلق فرفض.

---

(١) شريط الإمام ابن عثيمين، (تسجيلات صدى التقوى بالرياض).

(٢) الأربعاء، يوم ٢٩/ ١٠/ ١٤٢١هـ.

وبعدما انتهى أعطيت الحلاق الأجرة وأعطاه هو أيضًا الأجرة، ووجد عند الحلاق لوحة مكتوب فيها «ممنوع حلاقة الذقن» فأعجب الشيخ جدًّا وقام للحلاق وشكره وحثه على عدم حلق اللحية وأخبره أن هذا حرام.

كل هذا والحلاق لا يعرف من الشيخ وهو في ذهول من أمره.

* **موقف آخر:**

كنا مع الشيخ في زيارة لمدينة الرَّس وركبنا معه في السيارة، وكان يطلب من كل واحد منّا أن يقوم بقراءة شيء من القرآن، إلى أن وصلنا. دخل الشيخ على بعض الوجهاء في هذه المدينة، وكان ينهاهم عن التصاوير التي توضع في المجالس، فيستمعون لأمره ويجيبونه لما أمر به.

وجاء وقت العشاء وجلسنا نأكل على الأرض وكان وراءنا بعض الخدم قيامًا للخدمة، فنهاهم الشيخ عن الوقوف على رءوسنا كما يقوم الأعاجم لملوكهم ومعظميهم.

❑ ومن تلطف الشيخ في الإنكار عند الحاجة إليه:

ذات يوم كان الشيخ يصلي الظهر إمامًا كعادته في مسجده، وخلفه مجموعة من المصلين من مصر؛ من صعيدها وكان إذا كبر الشيخ رفعوا أصواتهم بالتكبير خلفه.

فجاء الشيخ ذات يوم وقال: يا أبناء وادي النيل لا ترفعوا أصواتكم بالتكبير.

ومسألة إنكار المنكر مسألة عظيمة هلك فيها من هلك، وغلا فيها من غلا، من لدن الخوارج ثم المعتزلة فمن بعدهم منهم جماعات التكفير وغيرهم ممن لا يراعون الوسائل الشرعية في إنكار المنكر، ولا يقفون على كلام أهل العلم في مراتب إنكار المنكر.

وفي أحد الأيام في دروس الصباح في الصيف قام أحد الطلاب معترضًا على الشيخ قائلاً: انتشرت المنكرات والمعاصي كالربا والفاحشة والأفلام الماجنة.. وغيرها.

فلماذا يسكت العلماء؟ وما هو دوركم؟ ولماذا لا تنكرون المنكر؟

فأجابه الشيخ بحكمة ورفق قائلاً: وما أدراك أننا لم ننكر المنكر ولم نأمر بالمعروف.

بل نحن ننكر المنكر ونأمر بالمعروف، لكن هل يلزم من كل من ينكر المنكر أن يُستمع له، وهل يلزم أن يخبر الناس أنه أنكر المنكر؟.

فكانت هذه إجابة حكيمة من الشيخ تُنقل للمتحمسين والمتحاملين على شيوخهم في كل عصر ومصر ممن يتهمون أهل العلم الربانيين بالتقاعس عن إنكار المنكر.

❑ ومما أذكره في هذا الباب:

أن الشيخ كان سيحاضر في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وكان يوجد بالقاعة الكبرى عدد من كاميرات التصوير بالفيديو، فقام الشيخ قبل صعوده المنصة للمحاضرة بالمرور على أصحاب الكاميرات ونكّسها بنفسه واحدة بعد واحدة، ثم صعد على المنصة وقبل بدأ المحاضرة، قال: إنني لا أسمح لأحد بتصويري، ومن صورني فأنا خصمه يوم القيامة، ثم بدأ في المحاضرة.

فليسمع هذا كل من لا يفقه قول الشيخ في التصوير الفوتوغرافي الذي يكون لحاجة الشخص كالهوية وغيرها وبين التصوير للاقتناء والذكرى.

وقد نسب إلى الشيخ في هذا الأمر شنائع من جراء الفهم المغلوط لفتوى الشيخ.

وقد نُوقِش الشيخ كثيرًا في هذا الأمر في أن عموم الأدلة تدل على منع

كل أنواع الصور إلا ما استثنته الضرورة كما عليه فتوى شيخ شيخنا العلامة ابن باز رحم اللَّه الجميع وغفر لهم» ا.هـ[١] .

* **اهتمامه بأحوال المسلمين في العالم، وعلمه بواقعهم:**

❑ كان ـ رحمه اللَّه ـ شديد الاهتمام بأحوال المسلمين، وعلى علم بواقعهم.

«قال الشيخ عقيل بن عبدالعزيز العقيل رئيس مؤسسة الحرمين الخيرية: «إن الشيخ كان يهتم بقضايا المسلمين في كلّ أنحاء العالم، وكان يتصل بي شخصيًا في كثيرٍ من المرات يسأل ويستفسر عن أحوال المسلمين سواءً أيام البوسنة، وأفغانستان، وكوسوفا، وكان يتابع متابعة دقيقة لبعض المشاريع، ويحرص عليها، ويخصص جزءًا من محاضراته ودروسه لتوعية الناس بهذه القضايا، ويحث على دعمها، وأذكر أنني زرت الشيخ في مسجده الجامع الكبير في عنيزة، وبدأت أحدثه بعد الصلاة عن بعض القضايا الهامّة، وكان طبعًا المسجد مليئًا، وأمرني أن أنزل إلى القبو وأنتظر هناك، ونزل خلفي، وجلسنا وحدنا منفردين، وكان يصغي باهتمام للقضية التي أطرحها عليه، وكان يعطي توجيهاته ونصائحه رحمه اللَّه رحمة واسعة»[٢] .

❑ وقال د. عبدالرحمن بن عبدالعزيز السديس:

«أذكر أنّي مرّة في إحدى الدول الغربية، دخلت أحد المراكز الإسلامية وفيه مكتبة متواضعة، فإذا أنا بمجموعة من طلاب العلم في هاتيك الديار من محبّي الشيخ ـ رحمه اللَّه تعالى ـ وهم لم يروه، وقد عكفوا على كتبه ومؤلفاته ورسائله، يقرءونها، ويبذلون جهدهم في ترجمتها بلغتهم، فقلت:

---

(١) «الدر الثمين في ترجمة فقيد الأمة العلامة ابن عثيمين» (ص٢٨٣ ـ ٢٩٣).

(٢) الرياض، العدد ١٨٩١.

سبحان اللَّه الذي كتب لشيخنا القبول حتى في مجاهل الغرب وأقاصي الدنيا ولقد بشرته بذلك فسرّ كثيرًا، وهذا من عاجل بشرى المؤمن، وقد كان يسألني عن أحوال المسلمين في الدول التي أزورها، ويشجعني على الاستمرار في ذلك كثيرًا، فجزاه اللَّه عني خير الجزاء»[١].

❑ وقال ناصر السعدي:

«كان الشيخ ـ رحمه اللَّه ـ جلدًا وصابرًا، مستمرًا في العلم والعبادة دائبًا على ذلك، وأذكر أنه عندما علم بالحرب الإسرائيلية ضد الفلسطينيين تأثر كثيرًا، وظهر ذلك واضحًا في قسمات وجهه، وهذا دليل على اهتمامه بواقع المسلمين، وله جهود واضحة في ذلك»[٢].

❑ وقال الشيخ بدر بن نادر المشاري:

«رغم مرض الشيخ حرص على خطب الجمعة في الجامع الكبير والإمامة والالتقاء بالناس للإجابة على أسئلتهم واستفساراتهم رغم كلّ معاناته حتى قيل له في وقت مرضه: أرح نفسك يا شيخ، قال: الراحة في خدمة المسلمين»[٣].

❑ وقال د. عبداللَّه الموسى:

«ذهبت للولايات المتحدة الأمريكية، وكرمني الشيخ برقم الهاتف الخاص في المنزل، وطلب منّي ألا أستخدمه إلا في الحالات القصوى التي تحدث دائمًا في بلاد الغرب، وينتج عدم الفصل فيها إلى الفتنة والفرقة والشقاق والنزاع، وكنت أستخدم هذا الهاتف بين الفينة والأخرى، وكم كان

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٥.

(٢) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٦.

(٣) شريط (أحبّ لقاء ربّه) نقلاً عن صفحات مشرقة لحمود المطر (ص٦١).

هذا مفيدًا على مستوى الولايات المتحدة الأمريكية، فقد اتصلت به مرارًا، ولا سيما عندما يبلغ الخلاف الحلقوم، وبهذا الرقم الخاص انكشفت كرب، وانحلت عقد، واتحدت قلوب بهذه الفتوى، حتى إنه في أحد الأيام أحد الإخوان لم يصدقني في قول ابن عثيمين، فنقلته له وقال: لا مانع لديّ أن يكون اللقاء مباشرًا عبر الهاتف، وأنا مستعد للمناقشة، ومرت الأيام، وفي زيارتي السنوية للمملكة العربية السعودية أعود لمجلس الشيخ مرة أو مرتين، وأذكر له بعض الصور الموجودة هناك وأحوال المسلمين، وأعرض عليه بعض الفتاوى، وكان يكتب وييسر، وكنت أناقشه بصراحة إلى درجة أنه رفض الفتوى في موضعين لما أخبرته بكامل القضيّة ولم يعطني جوابًا وقال: اسأل غيري»[1].

❑ وقال الشيخ توفيق الصائغ:

«لما عاد من رحلته العلاجية وقد أمضى أربع عشرة ساعة في الجوّ منتقلاً من الولايات المتحدة إلى المملكة، فلما وصل إلى الطائف اتصل بي هاتفيًا، وقال ـ رحمه اللَّه تعالى ـ: «إذا استطعت أن تعلم الناس في المواقع [مواقع الإنترنت] برقم هاتفنا في الطائف، وأننا انتقلنا إلى هناك فافعل حتّى لا يُحرم الناس من السؤال والفتيا»[2].

❑ قال الشيخ سعد بن عبداللَّه البريك:

«ما توانى عن النصح والإرشاد بعد أن داهمه المرض، وأنهك قواه، وفتك بجسمه، يروي من رافقه في رحلة العلاج إلى (أمريكا) يقول: أمضى الشيخ عشرة أيام ملأها بجلسات تفسير القرآن وتعليمه، والفقه ومدارسته،

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٧.

(٢) شريط (وداعًا العثيمين) نقلاً عن صفحات مشرقة (ص٧٥).

وتحول جناحه في المستشفى إلى حلقة من حلق العلم والفتيا والذكر والدعوة، اجتمع برؤساء المراكز الإسلامية الذين زاروه في المستشفى، فأكثر عليهم النصيحة وأعاد وكرر عليهم أن يتقوا اللَّه، وأن يتحدوا وأن يتكاتفوا، وأن يجمعوا كلمتهم، وأن يعتصموا بحبل اللَّه جميعًا، وأن ينبذوا الفرقة، وأن يبدءوا الحوار بينهم باللين والحكمة والحسنى، وأن يتباعدوا عن رمي بعضهم بالعبارات التي لا تليق، أو اتهام بعضهم بما لا يجوز من سيِّئ الظنون»[1].

وقال عبداللَّه بن عبدالعزيز الغفيص:

«كان يحمل همّ الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، ففي ذات يومٍ كنا عائدين إلى السكن بعد الدرس الذي كان يلقيه عقب صلاة الفجر في المسجد الحرام، ووصلنا إلى السكن حوالي الساعة السابعة والنصف تقريبًا لينام الشيخ وقت الضحى، فقد كان لا ينام في العشر الأخيرة من رمضان إلاّ في ذلك الوقت، حيث كان يجلس في غرفة في المسجد الحرام للرّد على أسئلة المستفتين من بعد صلاة العصر إلى صلاة المغرب شفهيًّا لمن يقدم عليه، وتليفونيًا لمن يتصل به، وبعد صلاة التراويح يجلس للدرس حتى صلاة القيام، ثم يصلي القيام وبعده ينام نصف ساعة فقط قبل السحور، ثم يصلّي الفجر ويجلس للدرس حتى الشروق؛ فلا يجد وقتًا للنوم إلا وقت الضحى، وهكذا بقيّة العشر.

أعود للقصة عندما وصلنا للسكن، دخل الشيخ لينام وطلب مني إيقاظه الساعة التاسعة والنصف لمقابلة وفد قدم من إحدى الدول الإسلامية، وبالفعل لم تقترب عقارب الساعة من التاسعة والربع حتى وصل الوفد، فأخبرتهم أن الشيخ نائم، وطلب مني إيقاظه الساعة التاسعة والنصف.

---

(١) شريط (ربانيون على فراش الموت) نقلاً عن صفحات مشرقة (ص٨٥).

واقترحت عليهم لو أنهم انتظروا ساعة أخرى حتى يستريح الشيخ فوافقوني بلا تردد، وما أن تجاوزت عقارب الساعة التاسعة والنصف بقليل حتّى وجدت الشيخ قد استيقظ من تلقاء نفسه، وسألني عن الوفد، فأخبرته أنهم وصلوا، وأعلمته بما قلت لهم فعاتبني، وقال: سامحك اللّه كان علي أن أكون في استقبالهم»[١].

❑ وقال حمود الشميمري:

«زرته في مخيمه في منى مع عددٍ من إخواننا حديثي الإسلام للسلام عليه وإلقاء بعض الأسئلة، وكان ـ رحمه اللّه ـ عند دخولنا عليه يلقي درسًا على عدد كبير من الحاضرين، فأسررت له أن معي بعض الإخوة الأمريكيين والأوروبيين يرغبون بالسلام عليه، والاستفادة في بعض الأمور التي تهمهم في بلاد الغرب، فما كان منه ـ رحمه اللّه ـ إلاّ أن طلب من أحد المشرفين على المخيّم أن يستضيفهم في خيمته الخاصة حتى يفرغ من إلقاء درسه، وما هي إلا دقائق معدودة وإذا به يدخل علينا في خيمته هاشًا باشًا مرحبًا بالإخوة حديثي الإسلام، ويهنئهم على نعمة الإسلام، ثم بين لهم وسائل الثبات ومسئولياتهم نحو أسرهم وأقاربهم، ومجتمعاتهم، ثم جلس بعد ذلك يستمع إلى أسئلتهم، ويجيب عليها بكلّ اهتمام وسعادة، ويكرّر الإجابة للاطمئنان على فهمهم لها، وكنت أقوم بدور الترجمة، فأكد عليّ ـ رحمه اللّه ـ الاهتمام بهم، وتقديم كلّ ما يحتاجونه للتفقه في دينهم وتقديم أي مساعدة يحتاجونها، ثم ودّعهم ـ رحمه اللّه ـ بأحسن ما يكون التوديع، ودعا لهم»[٢].

---

(١) الأربعاء، عدد يوم ٢٩/ ١٠/ ١٤٢١هـ.

(٢) جريدة المدينة ، العدد ١٣٧٨٢.

وقال عبدالمحسن بن عبدالرحمن القاضي:

«أذكر في غير مرّة ـ رحمه اللَّه ـ كنّا إذا حدثناه عن عملٍ خيري هنا أو هناك، يساهم بدعمه، ليس دعمًا ماديًا فقط، بل بالتوجيه والنصح والتحرّي في بذل المال، ولو أردت ضرب الأمثلة فإن المقام لا يسمح لذلك، ولكنني أذكر أنه في أحداث البوسنة والهرسك كان كثيرًا ما يطلب مني المرور عليه لأخذ الأموال التي وصلت إليه، وإيصالها إلى هناك، ولقد قمنا بطباعة عدد من الكتب على حسابه بواسطة مكتب هيئة الإغاثة، أو بواسطة الهيئة العليا لجمع التبرعات لمسلمي البوسنة أو غيرها..

وكانت له صلة مباشرة ـ رحمه اللَّه ـ مع المسلمين العاملين في البوسنة والهرسك حتى إنه أقام درسًا أسبوعيًّا توجيهيًا لأحد المراكز الإسلامية بالهاتف في البوسنة إبان أزمة ذلك البلد.

وتكرّر اهتمامه ـ رحمه اللَّه ـ واتسعت همومه لعدد من قضايا المسلمين التي كان يشجعنا على العمل فيها وجمع التبرعات لها، بل وتخصيص خطبة الجمعة عنها كقضايا الشيشان التي حظيت بنصيب من اهتمامه كبيرٌ في أواخر حياته ـ رحمه اللَّه ـ وكذلك قضية فلسطين، وكشمير، والفلبين، وإندونيسيا.

وأقمنا بواسطته عددًا من المراكز العلمية في العالم، التي كان يدعمها ويشارك في إلقاء المحاضرات بها، وإرسال الكتب والأشرطة إليها، وربما أن كثيرًا ممن حوله لم يعلموا بذلك؛ لخصوصيته المتميزة ـ رحمه اللَّه ـ في ذلك»[1].

وقال الشيخ بدر بن نادر المشاري:

«بلغني من أحد طلابه أنه كان قليلاً من الليل ما ينام في أوقات النوازل

(١) جريدة الوطن، العدد ١١٠.

الكبيرة على الأمة خصوصًا في أيام أزمة الخليج ومأساة إخواننا في البوسنة والشيشان؛ حيث كان يقوم الليل ويدعو ربّه لهم بالنصر والثبات، وردّ كيد أعداء الدين عنهم، وكذلك دعاؤه للمسلمين وحثّهم للوقوف معهم»[١].

❑ وقال الشيخ محمّد بن صالح المنجّد:

«لقد اهتم الشيخ بأمور الجهاد، ومن ذلك جهاد المسلمين في بلاد البوسنة والهرسك، وكان قد خصّص من وقته ساعة أو أكثر في كلّ أسبوع لأمور الجهاد في البوسنة يتصلون به فيفتيهم، وينظر في حاجتهم، ويسمع أخبارهم ويستبشر بها وينشرها، واتصل به بعض المجاهدين من البوسنة مرّة، وسألوه عن حكم قتل الخطأ؟ وماذا يجب على القاتل؟ واحدٌ من المسلمين قتل أخاه المسلم في الجهاد خطأ، فبعد الإجابة؛ الشيخ لمّا أجابهم بما يجب عليهم من حقّ اللّه وحقّ أهل القتيل قال: أمّا دية المقتول فعليّ، وسأرسلها لكم إن شاء اللّه تعالى، وكذلك كان اهتمامه بالجهاد في الشيشان حتى ذهب بعض طلابه إلى هناك يعلمون ويدرّسون، ويشرفون على تطبيق الشريعة في بلاد الشيشان..»[٢].

❑ الشيخ ومحنة فلسطين والشيشان:

قد عاصر الشيخ طيلة حياته العديد والكثير من محن الأمة الإسلامية العالمية ابتداءً من محنة احتلال اليهود لفلسطين وانتهاءً بمحنة اغتصاب الرّوس لبلاد الشيشان.

وقد كان للشيخ تجاه هذه المحن مواقف عظيمة لم يدّخر فيها وسعًا للدفاع عن قضايا أمّته بشتّى الوسائل، ومساعدة هذه الشعوب المسلمة الممتَحنة.

(١) شريط (أحبّ لقاء ربّه) بواسطة صفحات مشرقة (ص١٦٣).
(٢) شريط (١٠٠ فائدة من العلامة ابن عثيمين).

فقد كان ـ رحمه اللَّه تعالى ـ يبذل ما يستطيعه من جهدٍ مادّي وعلميّ ودعويّ في سبيل نصرة إخوانه المسلمين.

من ذلك: «**في قضية فلسطين**».

ما قاله ـ رحمه اللَّه تعالى ـ في خطبته التي ألقاها بعد احتلال فلسطين بحوال ثمانِ سنوات، قال فيها:

«أيّها الناس! فلقد مضى على احتلال اليهود للمسجد الأقصى أكثر من ثمانِ سنوات وهم يعيثون به فسادًا، وبأهله عذابًا، وفي هذه الأيام أصدرت محكمة يهودية حكمًا بجواز تعبد اليهود في نفس المسجد الأقصى.

ومعنى هذا الحكم الطاغوتي إظهار شعائر الكفر في مسجد من أعظم المساجد الإسلامية حرمة..».

ثم ذكر فضل المسجد الأقصى والأدلة على ذلك.

ثم ذكر المحن التي مرّ بها المسجد الأقصى خلال القرون الماضية.

ثم قال: «وفي ربيع الأول سنة ١٣٨٧هـ احتلّه اليهود، أعداء اللَّه ورسوله بمعونة أوليائهم من النصارى، ولا يزال تحت سيطرتهم ولن يتخلوا عنه، وقد قالت رئيسة وزرائهم فيما بلغنا: «إن كان من الجائز أن تتنازل إسرائيل عن تل أبيب، فليس من الجائز أن تتنازل عن أورشليم القدس نعم؛ لن تتنازل إسرائيل عن القدس إلا بالقوّة».

ولا قوّة إلا بنصر من اللَّه عز وجل، ولا نصر من اللَّه إلاّ بعد أن ننصره ﴿**يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا اللَّه ينصركم ويثبت أقدامكم**﴾.

وإنّ نصرنا للَّه لا يكون بالأقوال البراقة، والخطب الرنانة التي تحوّل القضيّة إلى قضيّة سياسيّةٍ، وهزيمة ماديةٍ، ومشكلة إقليميّة.

وإنّها واللَّه لمشكلة دينية إسلامية للعالم الإسلاميّ كله.

إنّ نصر اللّه عز وجل لا يكون إلاّ بالإخلاص له، والتّمسك بدينه ظاهرًا وباطنًا والاستعانة به، وإعداد القوّة المعنويّة والحسّية بكلّ ما تستطيع، ثم القتال؛ لتكون كلمة اللّه هي العليا، وتطهر بيوته من رجس أعدائه.

أمّا أن نحاول طرد أعدائنا من بلادنا ثم نسكنهم قلوبنا بالميل إلى منحرف أفكارهم، والتلطّخ بسافل أخلاقهم.

أمّا أن نحاول طردهم من بلادنا، ثم يلاحقهم رجالُ مستقبل أمتنا يتجرّعون أو يستمرئون صديد أفكارهم، ثم يرجعون يتقيئونه بيننا.

أمّا أن نحاول طردهم من بلادنا، ثم نستقبل ما يرد منهم من أفلامٍ فاتنة، وصحفٍ مضلّة.

أمّا أن نحاول طردهم من بلادنا مع ممارسة هذه الأمور، فذلك التناقض البيّن، والمسلك غير السّليم.

والفجوة السحيقة بيننا وبين النّصر ﴿**وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ**﴾.

نعم، أقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر.

لا كما قال بعض المذيعين أيّام الحرب مع اليهود في عام ٨٧هـ غدًا تغنّي أم كلثوم في قلب تل أبيب.

صلّى اللّه على رسوله، لقد صلى غداة فتح مكة ثماني ركعات، إمّا شكرًا للّه تعالى على الفتح خاصّة، أو تعبدًا بصلاة الضّحى، والعبادة من الشكر، وهكذا حال الفاتحين في الإسلام، يعقبون الفتح بالشكر والتقوى.

فاتقوا اللّه أيّها المسلمون، وأنيبوا إلى ربّكم وأقيموا شريعته، وأطيعوا اللّه ورسوله إن كنتم مؤمنين.

اللَّهــم انصــر الإســلام والمسلمين، وطهّر المسجد الأقصى من اليهود والنّصارى والمنافقين. .»[١] .

رحم اللَّه ابن عثيمين، كم كان فقيهًا بواقع الأمة، فقيهًا بحكم الشرع، وليس كما يدعي بعض الأغمار أنه لا يعلم عن واقع أمّته شيئًا.

واللَّه إن هذه الكلمات بهذا التحليل الدقيق، والتشخيص للداء، ووصف الدواء لحقيقة أن تكتب بماء الذهب علي أوراق الفضة.

ووالله إنّ أسباب العلاج أو النصر التي أوردها مع اختصارها ووجازتها لجديرة أن تجتمع عليها الأمة الإسلامية والعربية بمؤتمراتها وجامعاتها، بل وجيوشها لدراستها وتدريسها والعمل بها للخروج من هذا المأزق التاريخي الذي امتحنت به أمّة الإسلام اليوم، وإلى اللَّه المشتكى، وهو وحده المستعان.

*** وأما قضيّة مأساة إخواننا المسلمين في الشيشان:**

فقد كان الشيخ مهتمًا بها غاية الاهتمام، وكما يقال الآن «على مستوى الأحداث» جمعًا للمال لدعم المجاهدين، ودعاءً لهم، وحثًا على الجهاد معهم، واتصالاً بهم هاتفيًا، وتخصيصه الأوقات للرد على استفساراتهم، واستضافة وافدهم، وبيان قضيتهم في محاضراته وخطبه وكلماته.

فرحمه اللَّه تعالى، ما كان أنصحه! وأحرصه! وأشفقه! على إخوانه المسلمين.

وقد سمعت منه ـ رحمه اللَّه تعالى ـ محاضرةً عظيمةً في نصرة إخواننا في الشيشان بجامع الراجحي بالربوة بالرياض أثناء اشتداد المأساة.

جاء فيها: «الأمة الإسلامية في هذه الأيام تستقبل شهر رمضان المبارك، ولكنها تعيش في ألمٍ ونكدٍ فيها يجري لإخواننا في الشيشان، من تسلّط

(١) «الضياء اللامع من الخطب الجوامع» للمترجم رحمه اللَّه تعالى (ص٦٦٢ ـ ٦٦٥).

أولئك الملحدين الرّوس عليهم، لا لشيء؛ إلاّ لأنهم شرعوا في نشر الدين الإسلامي الصافي من البدع في بلاد البلقان.

ولكن أعداء الإسلام لا يرضون بهذا أبدًا، سواءً كانوا من الملحدين الشيوعيين، أو من اليهود أو من النصارى، أو غيرهم.. وهذا ظاهر.

ولمّا أرادت تيمور الشرقيّة «يعني في بلاد إندونيسيا» وهي جزء من الأمة الإسلامية لمّا أرادت أن تتحرّر لأن أكثرها نصارى، قام الغرب وقعد، وهيأ الأسطول الجوّي والبحري والبرّي؛ من أجل أن ينفصل هذا الجزء من إندونيسيا لأن أكثره نصارى.

أمّا جمهورية الشيشان الجمهورية الفتيّة التي عرفت حقيقة الحياة، وعرفت حقيقة التوحيد، وعرفت الدين الصافي، فهي عند الغرب منشقة؛ والمجاهدون فيها إرهابيون، وما أشبه ذلك..

ولكنّي أقول: ﴿**كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾.

إننا لن نيأس ولن نقنط، وسوف يرجع الرّوس على أعقابهم مخذولين مهزومين إن شاء اللَّه كما رجعوا في أول مرة.

وإن من حقّ إخواننا علينا، بل أدنى حقّ؛ أن ندعو لهم أن ينجيهم اللَّه من القوم الظالمين، وأن ينصرهم على القوم الكافرين، في أوقات الإجابة وفي أحوال الإجابة..». وذكر أوقات الدعاء.

ثم قال: «المسألة خطيرة، وليت المسلمين عرفوا قدر هذه النكبة وقاموا ينكرون عليهم..

فرادى ومثنى ينكرون على الرّوس، وينكرون على دول الغرب؛ لأن دول الغرب نصرانية كافرة، والروس ملاحدة كفّار، واللَّه يقول: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾.

لا تقل: هؤلاء أهل كتاب بدعواهم، وهؤلاء ملاحدة، كلّهم سواء، كلّهم حربٌ على الإسلام.

لهذا كان الواجب على الدول الإسلامية ـ وأرجو اللَّه أن يصل كلامي أسماعهم ـ أن ينفروا خفافًا وثقالاً إلى نصرة هؤلاء؛ ولو بالكلام.

أمّا السكوت هكذا، ولا كأن شيء كان، هو واللَّهِ مزري.

وليس حزننًا أن تهزم دولة مقابل دولة؛ حزننا أن هذا هزيمة للإسلام؛ لأن الروس ما تسلّطوا هذا التسلّط إلاّ خوفًا من الإسلام، مع أننا نسمع أن اليهود يساعدون الرّوس على القتال هذا، واليهود أعداؤنا..».

ثم قال: «فما موقفنا الآن؟؟!!

من المعلوم أننا ليس لنا حيلة ولا قدرة ولا قوّة.

وأنّ الموقف كان يجب أن يكون من الدّول الإسلامية في إنكار هذا الأمر الفظيع، ولكن قَدَرُ اللَّهِ وما شاء فعل، موقفنا الآن هو أن ندعو اللَّه عز وجل..».

ثم شرع الشيخ في دعاءٍ طويلٍ مؤثّر، جاء فيه:

«اللَّهم: إنّا نسألك في مقامنا هذا ونحن في انتظار فريضة فرضتها علينا (يعني صلاة العشاء) نسألك اللَّهم في هذا المقام أن تنصر إخواننا في الشيشان.. اللَّهم أنزل بالروس بأسك الذي لا يردّ عن القوم المجرمين».

ثم قال: «أيها الإخوة: أكثروا من الدعاء لإخوانكم:

مخلصين للَّه، مخبتين إليه، مضطرين إليه، أكثروا من الدعاء لهم فإنهم في محنة عظيمة، الصّواريخ تدمّر بلادهم، وتقتل شيوخهم وأطفالهم ونساءهم وتهدم مساجدهم..».

ثم قال: «ادعوا اللَّه لهم بإخلاص في الفروض والنوافل، في انتظار

الصلاة، في التهجد، ادعوا لهم، ادعوا لهم، هذا أقلّ الواجب عليكم، نسأل اللَّه أن يتقبّل دعاءنا.. آمين»[١].

❑ رحم اللَّه الشيخ بقية السلف الرباني محمد بن صالح العثيمين.

حبيبنا طبت في أم القرى جدثا وطاب ذكرك في كل الدُّنا عَبقا

*** شيخ السلفية باليمن وشيخ المحدثين بها الشيخ مقبل بن هادي الوادعي ـ رحمه اللَّه ـ:**

❑ يقول فضيلة الشيخ أحمد بن إبراهيم بن أبي العينين:

«قد امتن اللَّه على شباب الصحوة أن وفَّقَ كثيرًا منهم لمعرفة الطريق الصحيح، والسبيل القويم، وهو منهج سلفنا الصالح وأصبح الباطل لا يروج على كثير منهم، حتى شاع بين كثيرٍ منهم أنه لا يحدِّث أحد بحديث عن رسول اللَّه ﷺ إلاَّ وجد من يقوم له، ويسأله: هل هذا الحديث صحيح أو ضعيف؟ حتى انتشر ذلك أيضًا بين عوام الناس، وذلك كله بفضل اللَّه عز وجل، ثم بجهاد أُناس صبروا على نشر سنة رسول اللَّه ﷺ بين الناس، ونشر العلم الصحيح، ابتغاء وجه اللَّه عز وجل.

ومن هؤلاء شيخنا مقبل بن هادي ـ حفظه اللَّه ـ الذي جعله اللَّه عز وجل سببًا لانتشار السنة في اليمن، خاصة في منطقته التي يحل بها ـ صعدة ـ والتي يحل بها غُلاة الشيعة، وبها (مسجد الهادي) الذي هو مُلْتَقاهم ومرجعهم. فجعل اللَّه شيخنا سببًا في كسر شوكتهم، ودحض حجتهم، وانصراف الناس عنهم بعد أن كانت مغلقةً عليهم. فجزاه اللَّه خيرًا.

وكذلك جعل اللَّه عز وجل شيخنا سببًا لنشر الحديث في اليمن، ومعرفة علومه، وكذلك عُرِف السؤال عن صحة الحديث من ضعفه، وأصبح

(١) «الدر الثمين» (ص٢٩٤ ـ ٣٠٦).